

# سياسة النبي محمد (ص) الحكيمة في معالجة أحداث غزوة بني المصطلق

م.م. إبتسام رسول حسين  
مركز إحياء التراث العلمي العربي  
جامعة بغداد

## المقدمة

تعد دراسة التراث العلمي العربي من الدراسات التي تلقي الضوء على التطور التاريخي للعلوم العربية وما أنجزته العقلية العربية في هذا الميدان للمدة التاريخية التي ابتدأت بعصر صدر الإسلام وانتهت بالخلافة ويرى الكثير من العلماء سواء كان من المؤرخين أو غيرهم ممن له الاهتمام في هذا الجانب استحالة فهم تاريخ الأمة الإسلامية دون الخوض وفهم النواحي الاجتماعية والاقتصادية التي تشكل جزءاً حيوياً من تجربتنا الإنسانية والتي تؤدي بنا في النهاية إلى فهم الجوانب الحياتية الأخرى .

أن دراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي ، الذي خلف لنا كمأ هائلاً من الخبرة والتي وضحت كيفية قدرة الأمة على إن تمثل نفسها في الزمن الماضي وهذا بالنتيجة ينقلنا إلى مرحلة جديدة يمكن الإضافة إليها والإبداع إلى جوانبها من أجل بناء كيان جديد يضاف إلى كيان الأمة العربية والإسلامية بجانبه الحضاري المتميز وكما أشرت إن دراسة هذه الجوانب التي تقدم لنا صورة حقيقية عن سيرة الأمة العربية الإسلامية ، والتي من خلالها يمكننا تجنب الوقوع في هاوية مظلمة ، والتي وقع فيها قسم كبير من أسلاف هذه الأمة .

إن الكتابة عن غزوة من غزوات الرسول محمد (ص) وبيان دوره القيادي والسياسي وكيفية إدارته الحكيمة لها حيث لا توجد قيادة اسمي من قيادة النبي محمد (ص) ولا سياسة أرفع من سياسة النبي محمد (ص).

## أولاً: المصطلق في اللغة والاصطلاح

بنو المصطلق : وهم بطن من خزاعة وهم بنو خزيمة .  
والمصطلق لغة من صلق والصلقة والصلق الصياح واللولولة والصوت الشديد وهو رفع الصوت <sup>(1)</sup> ، وقيل هو ماء السماء <sup>(2)</sup> ، وهو لقب جذيمة بن سعد بن عمر بن ربيعة بن حارثة بن عمرو ومزيقياء بن عامر وقال ابن الكلبي سمي لحسن صوته وكأنه أول من غنى في خزاعة وفي نسخة من خزاعة <sup>(3)</sup> .

اما المريسيع :- بضم اوله وفتح ثانيه بعد ياء ساكنة وسين مكسورة مهملة بعدها ياء أخرى وعين مهملة — على لفظ التصغير قرية من وادي القرى . قال البخاري : المريسيع ماء بنجد في أخذها بني المصطلق من خزاعة . قال ابن إسحاق : " من ناحية قديد الى الشام غزاه رسول الله (ص) فهي غزوة المريسيع وغزوة بني المصطلق وغزوة نجد " (4) . وهو كذلك اسم ماء من مياه خزاعة . اما لغة : فمأخوذ من قولهم وسعت عين الرجل اذا دمعت من فساد ، وتقع المريسيع في ناحية قدير وقال من قال في القاموس إن المريسيع بئر أو ماء واليه تنسب غزوة بني المصطلق (5) ، وقبيلة خزاعة ازدية يمانية . كانوا يسكنون قديداً وعسفان على الطريق من المدينة إلى مكة فقديد تبعد عن مكة 120 كيلاً (6) ، وعسفان تبعد 80 كيلاً فيكون بينهما أربعون كيلاً: في حين تنتشر ديار خزاعة على الطريق من المدينة إلى مكة وما بين مر الظهران التي تبعد مكة 30 كيلاً وبين الالبواء (شرق مستورة بثلاثة أكيال) التي تبعد عن مكة 240 كيلاً وبذلك يتوسط بنو المصطلق ديار خزاعة ، وموقعهم مهم بالنسبة للصراع بين المسلمين وقريش وقد عرفت خزاعة بموقعها الآمن للمسلمين وربما كان لصلات النسب والمصالح مع الأنصار تأثير في تحسين العلاقات رغم المحالفات القديمة بينهم وبين قریش ذات المصالح الكبرى في الطرق التجارية إلى الشام . ورغم سيادة الشرك في ديار خزاعة حيث كانت هضبة المشلل التي كانت بها (مناة) في قديم ، ورغم إن ديارها كانت اقرب إلى مكة منها إلى المدينة، ولعله هذه العوامل أعاققت - في نفس الوقت - انتشار الإسلام في خزاعة عامة وفي بني المصطلق خاصة الذين يستفيدون إلى جانب الموقع التجاري بوجود مناة الطاغية في ديارهم معنويا وماديا حيث يحج إليها العرب (7) .

### أسباب غزوة بنو المصطلق

تعد غزوة بنو المصطلق إحدى الغزوات الدفاعية التي قادها الرسول (ص) في المرحلة الدفاعية خلال سنوات الدعوة الإسلامية الأولى ، وكما نعلم إن هذه الغزوات انما جاءت رداً على المؤامرة أو عدوان بداء المشركون أولاً وان أسباب بنو المصطلق كما ذكرها أهل السير كأبن إسحاق الذي قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبدالله بن ابي بكر ومحمد بن يحيى بن حبان كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق ، قالوا بلغ رسول الله (ص) إن بني المصطلق يجمعونه له ، وقائدهم الحارث بن ابي ضرار ابو جويرية بنت الحارث ، زوج رسول الله (ص) فلما سمع رسول الله (ص) خرج اليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له المريسيع ، من ناحية قديد إلى الساحل فتراحف الناس واقتتلوا ، فهزم الله بني المصطلق . وقتل من قتل منهم . ونفل رسول الله (ص) ابناءهم ونسائهم واموالهم . فأفاءهم عليه هذا ما ذكره ابن هشام وابن كثير رحمهما الله ولا بد لنا من الإشارة الى ان هناك اسباب جادة وواقعية دعت بني المصطلق لمواجهة الرسول (ص) منها:

- 1- تجرأت بني المصطلق على المسلمين نتيجة لغزوة أحد ، كما تجرأت القبائل الأخرى المحيطة بالمدينة (8).
  - 2- خشيت بني المصطلق من انتقام المسلمين منها لدورهم في غزوة أحد ضمن الأحباش في جيش قريش (9).
  - 3- رغبة بني المصطلق في بقاء الطريق التجاري مفتوحا أمام قريش لا يهدده احد لما في ذلك من مصالح محققة وعلى هذا الأساس ولهذه الأسباب قامت بجمع الرجال والسلاح وكذلك قامت بتأليب القبائل الأخرى ضد المسلمين.
- وما إن سمع رسول الله (ص) بفعلهم هذا بعد إن أرسل إليهم الصحابي الجليل بريرة بن الحبيب الأسلمي (رض) عنه لاطلاع على أحوالهم وظهر انه جاء لعونهم وتؤكد من نيتهم في الهجوم على المدينة عاد واخبر النبي (ص) بما يبيتون (10).
- بعد إن تأكد عليه الصلاة والسلام من نيته بني المصطلق خرج لغزوهم وهو سبب كافي الغاية منه حماية الدعوة الإسلامية والمدينة المنورة من أي اعتداء ، فهزمهم شر هزيمة لا نقول إلا كما قال عليه الصلاة والسلام : " الحمد لله وحده ونصره عبده واعز جنده وهزم الأحزاب وحده " .

### الأحداث التي رافقت هذه الغزوة وسياسة النبي (ص) في معالجتها

- 1- موت ابن صبابه : ذكر بن هشام انه : " أصيب رجل من المسلمين من بني كلب بن عوف بن عامر بن ليث ابن بكر . يقال له : هشام ابن صبابه ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت ، وهو يرى انه من العدو ، فقتله خاطئاً " . ولم تكن هذه الحادثة الأولى من نوعها . فلقد سبقتها حادثة أثرت في نفوس المسلمين وهي مقتل (حسيل بن جابر اليماني) والد حذيفة اليماني حين قتل خطأ في معركة احد عندما اختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه . فأمره رسول الله (ص) إن يجربه : فتصدقه حذيفة بدينة على المسلمين فزاده ذلك عند رسول الله (ص) خيرا " .
- أما ما حصل في هذه الغزوة وخاصة في مقتل هشام ابن صبابه فمختلف كل الاختلاف لما فعله حذيفة بن اليماني (رض) في مقتل أبيه وذلك ما ذكره ابن هشام إذ قال : قال ابن إسحاق : " وقدم مقيس بن صبابه من مكة مسلما " في ما يظهر فقال : " يا رسول الله جئتكم مسلما ، وجئتكم اطلب دية أخي ، قتل خطأ " . فأمر له رسول الله (ص) بدية أخيه هشام ابن صبابه . فأقام عند رسول الله (ص) غير كثير ، ثم عدا على القتال أخيه فقتله ثم خرج إلى مكة مرتدا .

- 2- تنافر المهجرين والأنصار: قال ابن إسحاق : اختلف الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب (رض) أجبر له من بني غفار ، يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه ، فأزدهم جهجاه وسان ابن وبر الجهني ، حليف بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني : يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين ، فغضب عبد الله بن ابي بن سلوان وعنده رهط من قومه منهم زيد

بن أرقم غلام حدث فقال أوقد فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما أعدنا وجلابيب قریش هذه إلا كما قال الأول : سمى كلبك يأكلك 0 اما والله رجعنا إلى المدنية ليخرجنا الا عزمنا الأذل 0 ثم اقبل على من حضره من قومه فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتهم بلادكم وقاسمتهم أموالكم 0 اما والله لو أمسكتهم عنهم ما بايديكم لتحولوا إلى غير داركم الا جمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله (ص) وذلك عند فراغ رسول الله (ص) من عدو ، فاخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب (رض) فقال مر به عباد من بشر فليقتله فقال له رسول الله (ص) فكيف يا عمر تحدث الناس إن محمداً يقتل أصحابه ! لا ولكن إذن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن رسول الله (ص) يرتحل فيها فارتحل الناس (11) 0

لم تكن هذه الحادثة الأولى من نوعها التي يتجرا فيها المنافقون بالكلام وإثارة الفتن ضد المسلمين. لقد قام المنافقون ولأول مره بآثاره الفتنة العظيمة العظيمة واثاروا الضجة حولها عند زواج النبي (ص) من زينب بنت جحش (رض) ولما علم أعداء الإسلام من مشركين ويهود في الخارج ومنافقين في الداخل بأنهم لا يستطيعون النيل من الإسلام والمسلمين نذروا أنفسهم لخدمه ، (الجبت الطاغوت) وأثاره الفتن من الداخل وكان على رأسهم عبد الله بن ابي بن سلول في المدينة واليهود من الخارج .. وهنا يبرز دور النبي (ص) في التصدي لمثل هذه الفتن والاهم دور أصحابه بصدقهم وإخلاصهم وحبهم لله وللرسول (ص) في التصدي لمثل هذه الفتنة 0 فهزم الصف المنافق حيث وجد ان الاسلام قوة لا يستهان بها ، فتم الصلح بين الفريقين ويتخلى سنان (رض) عن حقه وتُحبط الفتنة في عهدا 0 لهذا على المسلمين اليوم في واقعنا الحاضر إن يعوا هذه الحقيقة 0 فالانسان خطاء بطبعه ولكن يتوجب عليه ان لا يستمر ويتهاون كي لا يصل الى مرحلة يعجز بها الطرفان التوصل الى حلول ترضي الجانبين ، فلا غرابه إن تتحرك في أي بلد مسلم أو مجتمع إسلامي نوازع أجهاليه من شأنها إن تؤدي حتى إلى حمل السلاح وإيقاع القتل والتدمير إذن فمن الواجب على المسلم في مجتمعنا يعني هذه الحقيقة 0 وان لا يدب في عند مواجهتنا لمثل الظروف ولنا في موقف الرسول (ص) واصحابه من المؤمنين خير .

ومن الأمور التي برزت في هذه المعركة هو الوعي المتميز لزيد بن أرقم (رض) في صحة سماعه لحديث عبد الله بن ابي ونقله إلى رسول الكريم عليه الصلاة والسلام والذي كان سببا في احتياط خطه رأس المنافقين (12) ، لهذا يجب على المسلم إن يكون حريصا وواعيا يتصرف بحكمة .... واتزان وألا يتطرف يمكن إن يؤدي إلى نتائج تضر بالمصلحة العامة .

امن الواجب الأساسي للمربين إن يجهدوا أنفسهم في تربية الشباب على الوعي واليقظة وكيفية مواجهة مثل هذه الأمور وان يسلكوا سلوك زيد بن أرقم لحسم معركة كاملة ضد المنافقين. ويأتي التصرف القيادي المتمثل بشخص النبي (ص) بالدرجة الأولى للوقوف موقف حاسما أمام هذه المواقف وان يكون دوره بارزا متميزا في معالجه الأمور كلها معالجه تتصف بالحكمة والدقة في اتخاذ القرارات الحاسمة في

أحلك المواقف وأصعبها 000 فنلاحظ إن النبي (ص) اخذ بنظر الاعتبار ثلاثة احتمالات قبل إن يتبنى هذا القول ويبني عليه<sup>(13)</sup>.

**الاحتمال الأول :** إن لا يكون الناقل مغرضاً أو صاحب هوى كقول النبي عليه الصلاة والسلام " لعلك غضبت عليه فقلت ما قلت " <sup>(14)</sup> . فقال زيد بن أرقم : " لا والله يا رسول الله لقد سمعت منة " <sup>(15)</sup>.

**الاحتمال الثاني :** إن يكون ناقل الكلام غير دقيق في نقله كقول النبي عليه الصلاة والسلام " لعله أخطأ سمعك " <sup>(16)</sup>.

**الاحتمال الثالث :** أن يكون الفهم خاطئاً للكلام ، كقول النبي (ص) " فلعله شبه عليك " ؟ قال : لا والله لقد سمعت منة يا رسول الله 0

ورب سائل يسأل ما فائدة هذه الاحتمالات التي وضعها رسول الله ( ص ) ؟ فنقول : أما بالنسبة إلى الاحتمال الأول قوله ( فلعله غضبت عليه فقلت ما قلت ) وأراد به الرسول (ص) التأكد من صدق القائل وأنه ليس له غرض أو مصلحة أو هوى تجاه المنقول عنه لأن الحكم السريع من القيادي والتصديق المباشر دون تحقيق كامل لأسباب هذه الأقوال قد يوقع في خطأ أكبر من القول نفسه وقد يصدع هذا المغرض أو الحاقد أو الغاضب الصف كله إذا كان التسرع في قبول القول ضد أي إنسان لا يزال داخل الصف مهما كانت الاتهامات ضده <sup>(17)</sup> 0

وأما بالنسبة للاحتمال الثاني قوله (لعله أخطأ سمعك ) فمنها لا يستبعد الرسول(ص)إن النقل خطأً فيؤدي إلى زيادة أو نقصان في الكلام يغير المعنى ، ولا يصل إلى هذا المدى من الخطر ، وبالتالي فيتهم القائل بشي لا أصل له أو زيد عليه فغير معناه 0

وأما بالنسبة للاحتمال الثالث في قوله (لعله شبه عليك) فإنه أكثر الاحتمالات وقوعاً إذ قد يفهم المسلم الكلام على غير قصده أو غير معناه ، وبالتالي تتأزم الأمور لسوء تفاهم أو سوء فهم من طرف واحد ثم تبني الأحكام كلها على ضوء هذا الفهم السيئ ويتصدر الصف نتيجة أو هام لا حقائق ، بسبب تغيرات ومفهوم لكلمات معينة جراء نقل أمين لمعناها 0

يفهم من هذا كله أن يكون المنهج النبوي هو منار يحتذى به في مثل هذه الوقائع وغيرها تجنباً للوقوع في الأخطاء <sup>(18)</sup>.

ومن الأمور التي برزت في هذه الحادثة أيضاً دور النبي ( ص ) في عدم إعطاء الفرصة للعدو الخارجي في التشهير بالصف الإسلامي أمام الملحدين ولهذا السبب ولأسباب أخرى لم يأمر النبي (ص) بقتل عبدالله بن أبي سلول عندما طلب منه عمر بن الخطاب (رض) فقال : مر به عباد بن بشر فليقتله <sup>(19)</sup> ، فرض النبي ( ص ) على الفور ونهاه ، وقال " فكيف يا عمر إذا تحدث الناس إن محمداً يقتل أصحابه " <sup>(20)</sup> 0

وقرار النبي (ص) بعدم قتله يرتكز على عدة مدلولات منها :

**1- اطمئنان النبي (ص) إلى إن قوم عبدالله بن أبي سلوم سوف ينقضون عنه جميعاً ، فلقد أصبح خطره واضحاً وأمره مفضوحاً للجميع 0**

- 2- يود النبي (ص) في عدم فسح المجال للخروج عن صف ثم الانقضاض عليه بحيث يخرج ويتأمر مع اليهود والمشركين كما فعل ابو عامر الفاسق الذي خرج مع خمسين من قومه وانضم إلى اهل مكة 0
- 3- علم النبي (ص) إن عبد الله بن ابي قد افتضح كلياً بعد نزول سورة المنافقون حيث صارت على كل لسان ،وما من مسلم يتلو هذه السورة ويبقى عنده أدنى شك في تقييم ابن ابي أو الثقة به إلا كان منافقاً مثل مثله وكان رسول الله (ص) يتلو سورة المنافقين كل يوم جمعه مع سورة الجمعة حتى تبقى معانيها راسخة في أذهان المسلمين 0
- يستدل من هذا إن جبهة المنافقين التي كان عبد الله بن ابي يترأسها قد تصدعت تماماً بعد إن كانت قادرة على شق الصف الإسلامي كله فلم يعد له ناصر أو معين وأصبح مكان الإذلال في قومه في حين انه لو قتل لتحركت الحمية الجاهلية وحدث ما لا يحمد عقباه ولأصبح شهيداً مظلوماً عند قومه وعند آخرين من ضعاف الايمان 0 لهذه الأسباب ولغيرها جاءت حكمة النبي (ص) وعظمة قيادته في اتخاذ القرارات الحاسمة والدقيقة في أحلك المواقف وادقها (21).
- 1- تنبؤ الرسول (ص) بموت رفاعة بن زيد 0
- 2- زواج النبي (ص) من جويرية بنت الحارث 0
- 3- حادثه آلافك 0
- وتعد حادثة آلافك مدار الحديث في الغزوة التي حاول المنافقين استغلال هذه الحادثة لغرض شق صف المسلمين والنيل من رسول الله (ص) 0

## الهوامش

- (1) ابن منظور ، محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت 711هـ) ، لسان العرب ، ط 1 ، دار صادر (بيروت ، دت) 205/10 . إسماعيل حقي البروسي ، روح البيان ، دار الفكر (بيروت، دت) 122/6 .
- (2) محمد مرتضى الحسني ، تاج العروس ، تحقيق عبدالكريم الغرباوي 31/26 .
- (3) المصدر نفسه .
- (4) عبدالله بن عبدالعزيز البكري الاندلسي أبو عبيد (ت 487هـ) ، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، تحقق مصطفى السقا ، ط3، عالم الكتب (بيروت، 1403) 1220/4 وياقوت بن عبدالله الحموي ابو عبدالله (ت 626هـ) ، معجم البلدان ، دار الفكر (بيروت ، دت) 1185/5 .
- (5) البروسي ، روح البيان 12/6 .
- (6) الكيل مصطلح أطلقه المجمع العلمي العربي في دمشق على الكيلو متر ، نقلاً عن العياش المدينة بين الماضي والحاضر ص12 .
- (7) د. أكرم ضياء العمري ، السيرة النبوية الصحيحة ، ط 1 ، مكتبة العيكان (الرياض، 1995) 404/2 .
- (8) المصدر نفسه 404/2 .
- (9) ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا ، دار الفكر (بيروت، دت) 61/2 ، الواقي ، مغازي الواقي 200/1 .

- (١٠) محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار صادر (بيروت ، د.ت) 63/2 ، الواقدي ، مغازي الواقدي 404/1-405 .
- (١١) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 406 .
- (١٢) منير محمد الغضبان ، المنهج الحركي للسيرة النبوية ، ط 2 ، مكتبة المنار (الأردن ، 1985) 267/2 باختصار .
- (١٣) المصدر نفسه .
- (١٤) محمد الخضري بك ، نور اليقين ، ط 2 ، دار الكتب العلمية (بيروت ، د.ت) ص 145 .
- (١٥) المصدر نفسه .
- (١٦) المصدر نفسه .
- (١٧) منير الغضبان ، منهج الحركي 267/2 .
- (١٨) المصدر نفسه .
- (١٩) ابن هشام ، السيرة النبوية 291/2 ، ابن القيم ، زاد المعاد ، المطبعة المصرية (مصر ، د.ت) 116/2 ، الخضري بك ، نور اليقين ، ص 145 .
- (٢٠) المصدر نفسه .
- (٢١) منير الغضبان ، المنهج الحركي 278/2 باختصار .

## المصادر

- ١ - البروي ، اسماعيل حقي ، روح البيان ، دار الفكر (بيروت د.ت) ، ج 6 ، ص 122 .
- ٢ - د. العمري ، اكرم ضياء ، السيرة النبوية الصحيحة ، مكتبة العيكان (الرياض ، 1995) ، ط 1 ، ج 2 ، ص 404 .
- ٣ - البكري ، عبدالله بن عبدالعزيز الاندلسي ابو عبيد (ت 487هـ) ، معجم البكري .  
ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، عالم الكتب (بيروت ، 1403) ط 3 ، ج 4 ، ص 1220 .
- ٤ - الجوزي ، بن القيم ، زاد المعاد ، المطبعة المصرية ، ج 2 ، ص 116 .
- ٥ - الخضري ، محمد بك ، نور اليقين ، دار الكتب العلمية (بيروت ، د.ت) ، ط 2 ، ص 145 .
- ٦ - ابن سعد ، محمد ، الطبقات الكبرى ، دار صادر (بيروت د.ت) ، ج 2 ، ص 61 .
- ٧ - الحسني ، محمد مرتضى ، تاج العروس ، تحقيق عبدالكريم الغرباوي ، ج 26 ، ص 31 .
- ٨ - ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت 711هـ) ، لسان العرب ، دار صادر (بيروت د.ت) ، ط 1 ، ج 10 ، ص 205 .
- ٩ - الغضبان ، منير محمد ، المنهج الحركي للسيرة النبوية ، مكتبة المنار (الأردن ، 1985) ، ط 1 ، ج 2 ، ص 267 .
- ١٠ - الحموي ، ياقوت بن عبدالله ابو عبدالله (ت 626) معجم البلدان ، دار الكتب ، (بيروت د.ت) ، ج 5 ، ص 1185 .
- ١١ - ابن هشام ، ابو محمد عبدالملك (ت 381هـ) ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا و ابراهيم الابيارى ، مطبعة مصطفى البابين الحلبي ، ط 3 ، ج 2 ، ص 61 .